الشاذلى يضع خطة مدروسة لرحلة الحج

أثناء عمله سفيرا لمصر فى البرتغال سافر الفريق «الشاذلى» إلى ألمانيا لشراء سيارة مرسيدس وحملها معه إلى مصر عند عودته فى مارس ١٩٩٢م وصادرتها الجمارك حتى فوجئت أسرته ببيع هذه السيارة فى المزاد، عن هذه الواقعة تقول شهدان الشاذلى:

«قام والدى بشراء هذه السيارة عام ١٩٧٦م عندما كان سفيرا لمصر بالبرتغال وسافر بها إلى أسبانيا لعقد مؤتمر صحفى انتقد خلاله اتفاق كامب ديفيد، وكان والدى يتنقل بها بين العواصم التى عمل بها، وأخذها معه إلى الجزائر وظل محتفظا بها حتى عودته إلى مصر فى ١٩٩٢م، ووقتها صادرتها الجمارك المصرية وطالبت بجمرك أكثر من ثمن السيارة ولذا ظلت السيارة فى الجمرك حتى عام ١٩٩٥م، فتبرع بها والدى للقوات المسلحة فطلبت الجمارك من القوات المسلحة دفع جمارك السيارة ولما لم تدفع القوات المسلحة فبقى الحال على ما هو عليه، حتى عرفت من إحدى صديقاتى أن السيارة معروضة للبيع فى مزاد فذهبت للمزاد واشتريتها ب ٦٠ ألف جنيه برغم أن ثمنها كان ٤٠ ألف جنيه، والحمد لله أن المزايد أمامى فى المزاد لم يكن يعرف أهمية هذه السيارة بالنسبة لى، ولم يعرف أن السيارة تخص الفريق سعد الشاذلى ولم يعرف أيضا أنى ابنته».

وبعد خروجه من السجن عاد الفريق «الشاذلى» كعادته يمارس نشاطاته المختلفة ويستمتع بحياته، بدأها فى بلدته «شبراتنا» فى الغربية حيث بدأ بإعادة بناء بيته هناك على الطراز الحديث، وأقام مسجدا ومصحة ومشروعات أخرى خدمية لأهل بلدته، وظل محتفظا بنشاطه الذهنى وذكائه المتقد لآخر لحظة من حياته، فكان يضع لكل مشروع خطة حتى العزومات الكبيرة التى كان يقيمها للعائلة فى المناسبات كان يضع لإتمامها خطة بحسابات دقيقة يحدد فيها أصناف الأطعمة والمشروبات بما يلزم لعدد المدعوين بدقة متناهية، وكان يضع خطة لتوزيع ذبيحة عيد الأضحى بالعدل بين فقراء بلدته، وكان يهتم فى هذه المرحلة من حياته بلقاءات الأهل والأقرباء لتوطيد صلات الأرحام، وعلى الجانب الآخر كان يتلقى دعوات حضور مؤتمرات ويكتب مقالاته فى صحيفة الشعب معلقا فيها على ما يجد من أحداث على الساحة العربية، وكانت بعض مقالاته تحمل تلك العناوين:

«إلى الذين يرقصون على أنغام العدو»، وعنوان آخر «لا أخشى على مصر من السودان»، وعنوان ثالث «بنود كامب ديفيد تمكن إسرائيل من احتلال سيناء فى ٢٤ ساعة» وحوارات أخرى حول ذكرياته العسكرية فى الحروب التى شارك فيها.وكان الفريق «الشاذلى» كاتبا بارعا يملك أدوات الكتابة وبراعة التعبير، وكانت له مؤلفات بعد مذكرات حرب أكتوبر (الخيار العسكرى العربى، الحرب الصليبية الثامنة)،

وكلها مؤلفات عسكرية كانت نتاج خبرته العسكرية، أما كتابه أربع سنوات فى السلك الدبلوماسى فسجل فيها ذكرياته وخبراته الإنسانية وعلاقاته الدبلوماسية.

وظل على حاله ونشاطاته حتى وصل فى ١٩٩٩م إلى عمر ٧٧ عاما وأراد وقتها أن يجدد عهده مع الله بأداء فريضة الحج للمرة الثانية من حياته، وصحبه فى رحلته إلى السعودية وقتها حفيده الشاب معتز عبد الرحمن، الذى قال عن ترتيبات جده «الشاذلى» للحج:

كعادة جدى فى الترتيب لكل شىء بالدراسة والتخطيط وترتيب التفاصيل الدقيقة ووضع خطط دقيقة لكل شىء، قام بالترتيب لرحلته إلى الحج قبلها بشهر، فبدأ يزيد من مدة تدريبه اليومى على المشى لإكساب عضلاته المرونة اللازمة للجهد المطلوب بالمشى لمسافات طويلة فى أداء مناسك الحج، وقام بدراسة خريطة لمواقع الحج فى منى وعرفات ومزدلفة ومكة والمدينة المنورة لتحديد المسافة التى تفصل بين هذه المدن بعضها البعض لتحديد الزمن اللازم لقطعها، واضعا فى حسبانه كل الظروف الطارئة والمتوقعة مثل زحام الطريق أو تعطل الأتوبيس، لكل شىء عنده حسابات غاية فى الدقة جعلته يحدد كمية الطعام اللازمة له أثناء التنقل بين هذه الأماكن المقدسة حسب طول المسافة، وكانت وجبته الخفيفة اليومية لا تتغير مهما تغيرت ظروف الإقامة حفاظا على وزنه حتى لا تُعيقه زيادة الوزن عن أداء المناسك.

حتى عدد خطواته من محل إقامته إلى الحرم حتى وصوله إلى الكعبة كان يحسبها بدقة واضعا فى اعتباره زمن الخطوة البطيئة بسبب الزحام حتى فى مِنىً مكان رمى الجمرات عندما حسب المسافة ووجدها تفوق قدرته وكل حفيده «معتز» فى رمى الحصى له تجنبا لمعاناة قد تفوق طاقته. وكان يجرى دراسة مقارنة بين الحج الأول فى شبابه والحج هذه المرة ليجد أن الفرق بين الرحلتين هائل خاصة أنه طاف فى رحلته الأولى حول الكعبة على حصى ساخن كان يلهب أقدامه.

ويضيف الحفيد المهندس معتز عبد الرحمن:

كان المثل الأعلى للفريق «الشاذلى» بعد النبى – صلى الله عليه وسلم – هو أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) فى عدله وحسمه وصرامته ودفاعه المستميت فى الحق، وفى حرصه على إقامة قواعد راسخة لدولة المسلمين، واختيار الأصلح للمسلمين حتى ولو كان ضد مصالحه الشخصية، و من المواقف التى لفتت انتباه «الشاذلى» فى شخصية عمر ابن الخطاب هى توقيره للقرآن وحرصه على حفظه، فلما وجد صعوبة فى حفظ القرآن قرر ابن الخطاب أن يحفظ سورة البقرة أطول سور القرآن واحتفل بهذا الإنجاز وقدم فى احتفاله الذبائح. كل ذلك كان موضع إعجاب الفريق «الشاذلى» حتى إنه كان يتسابق مع حفيده فى حفظ بعض سور القرآن فى الحج، وكان مصحفه مميز بامتلائه بعلامات وتسطيرات بقلمه الرصاص يستدل بها فى الحفظ والتلاوة، واستغل فرصة الحج لمراجعة القرآن مع حفيده.

وبالرغم من أن جـدى كان بملابس الإحرام فإن الكثير من الحجاج المصريـين والعرب والدعاة تعرفـوا إليه وتجمعوا حوله يسـألونه عن أسـرار خلافه مع الأنظمة السياسـية فى مصر، ويطلبـون التقاط صور تذكارية معه، فكان يرفض المطلبين حتى لا يضيع جهده وطاقته بعيدا عن التركيز فى المناسك، مهمته الدينية التى جاء من أجلها.

ولازال الحديث للحفيد معتز عبد الرحمن:

وعـاش جدى الفريق «الشـاذلى» سـنواته الأخيرة بنفس حماسـه المعتـاد، وكان يـرى أن الدنيا برغم همومها ومتاعبهـا إلا إنها مليئة بالمهام الأخرى الممتعة، فكان كلما انتهى من مهمة صنع لنفسـه مهمة جديـدة تضيف إنجازا جديدا إلى حياته، فـكان يهتم بأرضه الزراعية وأحـوال الفلاحـين القائمين على زراعتها، وكان يشـترك فى مجلات أجنبية عسـكرية ويهتم بمتابعة ما ينشر فيها من معلومات عسكرية، إلى جانب نهمه فى قراءة الجرائد اليومية المصرية والأجنبية. (انتهى حديث الحفيد معتز عبد الرحمن)

ولم يدر الفريق «الشاذلى» بعدما امتد به العمر حتى ٨٩ عاما ونالت الشـيخوخة من صحته وبدأ المـوت يقترب منه لينذر بقرب رحيله عن الدنيـا، لم يدر أن مفارقـات اللقطة الأخيرة من حياته سـتكون أروع خاتمة لرحلته فى الحياة، فماذا رتب الله تعالى للفريق «سـعد الشاذلى» فى وداعه يوم رحيله فى اليوم التاريخى لمصر فى ١١ / ٢ / ٢٠١١م؟